

اجتهادات مفهوم العقل

كم نفتقد هذه الأيام الحوارات الفكرية العميقة. لا يعود ذلك فقط إلى الخطر والتقييد، وغيرهما من الإجراءات الهادفة إلى الحد من انتشار فيروس كورونا في العالم. هذا هو السبب الظاهر الآن. ولكن افتقادنا الحوارات العميقة يرتبط بعوامل أخرى سبقته، مثل قلة الأفكار الجديدة الجادة، والمحاولات الفكرية الجريئة، وتسطّيح وسائل التواصل الاجتماعي لما يُطرح منها. تأملتُ حالة الفقر الفكري التي نعيشها اليوم، بينما تستعيد الذاكرة مشاهد النقاشات التي أثارتها أفكار الراحل الكبير د. محمد عابد الجابري، الذي مرت قبل أيام الذكرى السنوية العاشرة لوفاته.

شاركتُ في اثنتين من حلقات النقاش، التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في ثمانينيات القرن الماضي حول بعض أعمال الجابري، خاصة سلسلة نقد العقل العربي، التي تضمنت أربعة كتب هي: تكوين العقل العربي، وبنية العقل العربي، والعقل السياسي العربي، والعقل الأخلاقي العربي. كما كتبتُ عن الكتابين الأول والثاني في هذه السلسلة. وفي النقاش المباشر، كما في الكتابات المنشورة، عبرتُ عن إعجاب بقدرات الجابري البحثية التي يقل مثلاً، وصبره وجلده غير المألوفين، وطرحُ أسئلة ارتبط بعضها بمنهجه، بينما تعلق بعض آخر منها بمفاهيم وجدتها في حاجة إلى ضبط. لم يكن صدر الجابري في سعة عقله. وربما لهذا السبب، لم يهتم كثيراً بأسئلة وملاحظات طرحها مثقفون عرب، وكان فيها

ما يمكن أن يُغنى عمله الكبير. وربما كانت حدة المثقف اللبناني الراحل الكبير جورج طرابيسى فى نقد الجابرى أحد دوافع ضعف اهتمامه

فقد تجاوز الطرابيسى حدود النقد الموضوعى فى بعض مواضع كتابه السجالى بقدر نقد العقل العربى. ولكن معظم من نقدوا الجابرى، أو طرحوا ملاحظات وأسئلة، سعوا إلى تحسين عمل كبير فعلاً، ومعالجة بعض أوجه القصور فيه. ومن أهم ما أثير فى هذا السياق، سؤال عن مفهوم العقل، وهل يوجد عقل عربى وثان غربى وثالث شرقى، وهل المفهوم الأدق هو الفكر أم الثقافة، حيث راوح الجابرى بين المفهومين حيناً، ومزج بينهما حيناً آخر. تحية للجابرى فى ذكره، وآمل فى أن يستعيد العقل دوره الإبداعي.